هجوم الأنبا بيشوي

على أساسات المسيحية الأرثوذكسية

(٢)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

هجوم الأنبا بيشوي

على أساسات المسيحية الأرثوذكسية– ٢

"التألُّه" هو مماثلة البشر للابن المتجسد:

التشبُّه برحمة الله الآب مستحيل، لماذا؟ يقول أثناسيوس: "مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين خُلقنا من العدم أن نصير مثل الآب" (ضد الأريوسيين ٣: ١٩). نحن مثل الابن المتجسد، "لكن ليس مثله بالطبيعة وبالحق (الولادة من جوهر الآب أزلياً)، بل بحسب النعمة التي دُعينا إليها. ورغم أننا بشر من الأرض، مع ذلك نصير آلهةً، ليس مثل الإله الحقيقي أو كلمته، بل كما قد سُرَّ الله الذي وهبنا هذه النعمة، هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله (في الجوهر) ولا بأن نصير صانعي الخيرات (لأن هذا من طبعنا) بالطبيعة والحق، لأن عمل الخير في ذاته ليس من ذواتنا، بل هو من الله؛ لأنه يوزِّع على الآخرين الخيرات التي وُهبت لنا من الله بالنعمة" (ضد الأريوسيين ٣: ١٩).

الشرحُ واضحٌ. المماثلة لا تسمح بأن نكون مثل جوهر الله، بل بالحياة حسب النعمة، نحن (بالمسيح) نصير أبناء بالتبني وبالنعمة، مشتركين في روحه .." (المرجع السابق ٣: ١٩). هو عودتنا إلى الوحدة، فالابن مثل الاب، ولكن لسنا مثل الآب، ولسنا آلهة مثل الابن" (المرجع السابق ٣: ٢٠). العلاقة الجوهرية لا يمكن أن تكون مثل علاقتنا نحن بالآب؛ لأن الابن من ذات جوهر الآب، أما نحن فلا وجود لنا بدون تجسد الابن (المرجع السابق ٣: ٢١).

ويؤكد القديس أثناسيوس بعد ذلك أن الابن والآب واحد بالطبيعة، وأن ما طلبه في (إنجيل يوحنا ١٧: ٢٣) هو أن يكون الابن فينا؛ لأنه لبس جسدنا (٣: ٢٢) فهو فينا "بسبب الجسد ومنك (أيها الآب) يتحقق خلاص البشر فيَّ، لذلك أسأل أن يصيروا هم أيضاً واحداً بسبب الجسد الذي فيَّ، وبحسب كماله، لكي يصيروا هم أيضاً كاملين، إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم صاروا واحداً في هذا الجسد .." (المرجع السابق ٣: ٢٢). الذي جعل شركتنا حقيقة، هو تجسد الابن، بل يؤكد أثناسيوس: "لن نصير مثل الابن، ولن نكون مساويين له، لأن الابن ونحن موضوعان متوازيان" (المرجع السابق ٣: ٢٣). التوازي الذي يقصده هنا القديس أثناسيوس هو كمال إنسانية المسيح والبقاء في الحياة الأبدية؛ لأن الفداء من الخطية هو تألُّه الإنسان (المرجع السابق ٣: ٢٣) وهو أننا نصبح "حاملين الله" (المرجع السابق ٣: ٢٣) وهذا يعني اننا بالتجسد وبنعمة الروح الذي اعطى لنا نصير نحن فيه وهو فينا .. هكذا يكون الله فينا" (المرجع السابق ٣: ٢٤).

نحن في الآب بطريقة أخرى (٣: ٢٤)، ليست لأننا "نصير مثل الكلمة أبداً، ولا الكلمة سيصير مثلنا" (٣: ٢٤)، ولكن عندما نصير بالروح القدس في الابن، ولأن الروح كائن في الله بينما نحن لسنا كذلك، ولكن الكلمة جاء وتجسد وجعلنا أبناء وسكن فينا، فصرنا في الآب بواسطة الكلمة وبواسطة عطية الروح القدس لنا عند ذلك يمكن أن نقول "إننا صرنا أبناء وآلهة" (٣: ٢٥).

التألُّه ليس قدرةً إنسانيةً، ولا هو استيلاءٌ على الله، ولكن عندما جاء الابن إلينا متجسداً وحمل ضعفات الإنسان لكي يلاشيها وتألم ومات وقام (٣: ٣١)، وكل هذه الأعمال تمت في الجسد "جسد ذاك الذي له الانتصار والغلبة" (٣: ٣١) على كل ضعفات الجسد. هذه الأمور هي أعمال الكلمة الإلهية والتي تؤكد أُلوهيته من شفاء المرضى وإقامة الموتى. وقَبِلَ الكلمةُ هذه لكي يشفي الإنسان، ولكي يؤلِّه الإنسان "لو كانت أعمال أُلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، لَمَا كان الإنسانُ قد تألَّه، وظلَّت الخطية وظلَّ الفساد باقيان في الإنسان" (٣: ٣٣). ويقدِّم القديس أثناسيوس نموذجي

أرميا ويوحنا المعمدان، هذين قد تقدسا وتطهرا من كل خطية .. ومع ذلك .. ظلَّ البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرَّضين للأوجاع" (٣: ٣٣)، أما وقد جاء الكلمة وتجسد "وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصةً به، فلم تعد تلك الأمور (الفساد والموت) تستعبد الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته .. بل قاموا بقوة الكلمة وصاروا غير مائتين وغير فاسدين" (٣: ٣٣).

التألُّه هو بدايتنا الجديدة في المسيح:

جاء الرب لكي ينقل بدايتنا من آدم إلى كيانه الإلهي المتجسد، تجسد "لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرد تراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السماء بواسطته .. لأننا لم نعد نموت حسب بدايتنا الأولى في آدم، بل لأن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطِلَت بسبب ذاك الذي هو كائنٌ فينا، والذي قد صار لعنةً لأجلنا، وكما أننا نحن جميعاً من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نُولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح سنُحيا جميعاً، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً، بل يصير إلهياً كالكلمة، وذلك بسبب الله الذي لأجلنا صار جسداً" (٣: ٣٣).

وفي الرسالة إلى أدلفوس الفقرة ٤ يشرح الإيمان، هكذا:

"إذا كان الله قد أرسل ابنه مولوداً من امرأة، فهذه الحقيقة لا تسبب لنا خجلاً، بل على العكس، تبعث فينا المجد بسبب عِظَم النعمة؛ لأنه تأنس لكي يؤلِّهنا في ذاته، وولد من امرأة عذراء لكي ينقل إلى كيانه جنسنا العاصي، ولكي نصبح جنساً مقدساً وشركاء الطبيعة الإلهية .. كما قال بطرس المبارك (٢بط ١: ٤). هذه هي مماثلة جسد الكلمة، وهي ليست فكرة، بل هي ما يحدث في سر المعمودية (راجع أيضا ضد الأريوسيين ٣: ٣٣)، وأساس ذلك هو تجسد ابن الله، وانتقال أصل الإنسان

من آدم إلى المسيح[١].

الفكرة اليهودية، وهي ذات الفكرة الأريوسية التي تهدم أساس الكنيسة:

في الفقرة ٣٩ من المقالة الثالثة ضد الأريوسيين يدافع أثناسيوس عن أُلوهية الرب يسوع مؤكِّداً أن زعم الأريوسيين بأن الكلمة كان يحتاج ويجهل، يعني أن البشر "كانوا سيظلون كما كانوا عرايا وتعساء ومائتين" (٣: ٣٩)، ولكن الجسد هو الذي نال رفعةً، وليس الكلمة، فقد جاء الكلمة بيننا لكي يفدي البشر ويؤلههم" (٣: ٣٩)، ذلك هو الذي جعل البشر "شركاء للطبيعة الإلهية" (٣: ٤٠). والنعمة والقوة ليست من الجسد، بل هي خاصة بالكلمة (٣: ٤١).

و لم يكن اهامنا لهؤلاء بالردة عن الأرثوذكسية المسيحية غريباً. فمحاولة الرد على تأمل الأب متى المسكين عن "مسقط رأس البشرية المفتداة" والتهكم بأننا لم نولد من العذراء، والذي امتد بصورة أخرى إلى نص (أفسس ٥: ٢٢-٢٣)، تكشف عن مقدار الجهل بالتدبير الإلهي المستعلَن في ربنا يسوع المسيح، والذي وُهِبَ لنا بالروح القدس. لأن الأمر لو كان كذلك، لكان قولنا: "السلام لك يا بيت لحم مدينة الأنبياء التي ولد فيها آدم الثاني" قولاً عابثاً، في حين أن بيت لحم (بيت القربان) له مكانه الثابت في طبوغرافية كل كنيسة، وقد أضافت نفس الطبوغرافية، الأردن (جرن المعمودية)؛ لأن أحداث واستعلانات الخلاص قد نُقلت الآن إلى جماعة الرب الكنيسة،

---

(١) عندما قال الأب متى المسكين إن "بيت لحم هو مسقط رأس الانسانية المفتداة"، فإن القصد ظاهر، وهو ما نراه هنا عند القديس أثناسيوس، وهو ما تعبِّر عنه ثيئوطوكية الاثنين: "السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التي وُلِدَ فينا المسيح آدم الثاني. لكي يرد آدم الإنسان الأول الترابي إلى الفردوس ويحل قضية الموت ..". هنا نسمع صوت أثناسيوس نفسه، وهنا نسمع نفس تعليم الكنيسة يقال في قصيدة البشارة لمار افرام (قصيدة رقم ٢٥) وكلمات رسول الرب في (أفسس ٥: ٢٢-٢٣) عن الرجل والمرأة وعن الزواج لا عن ميلاد الرب بالجسد، ولا يجب أن نخلط بين بدء الخلقة الجديدة، وبين تكوين الكنيسة واتحادها بالرب، رغم تداخل الصورتين: صورة البدء في آدم الثاني، وصورة اتحاد الكنيسة بالرب، وهو الاتحاد الذي بدأ في بيت لحم وعَبَرَ موانع الخطية – الموت – الدينونة، إلى الحرية والحياة والقيامة.

حيث يسكن الثالوث في وسط الجماعة.

الجسد خلع الموت وتأله:

وفي نفس المقالة (٣: ٤٨) في الرد على الأريوسيين الذين قالوا إن الرب لا يعرف اليوم ولا الساعة، يشرح أثناسيوس ما ذُكر في انجيل مرقس (١٣: ٣٢): "من جهة اليوم والساعة، فهو لم يُرِد أن يقول "أعرف" بحسب طبيعته الإلهية، ولا "أعرف" بحسب الجسد، وذلك بسبب الجسد الذي كان يجهل – كما قلت سابقاً، لئلا يسألوه (التلاميذ أكثر)، وعندئذ إما أن يحزن التلاميذ بعدم إجابته لهم، أو أن يخبرهم بما هو غير نافع لهم وغير نافع لنا نحن، لأن كل ما يعمله، إنما يعمله لأجلنا؛ لأن الكلمة صار جسداً لأجلنا. أيضاً "صعد إلى السماء كإنسان ورَفَعَ لله إلى السماء الجسد الذي لبسه .. لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتألَّه".

الابنُ كاملٌ في الآب (٣: ٥٢)، ولكنه "تخلى (أنقص) نفسه لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدم وننمو"، ذلك التقدم هو تألُّه جسد الرب "التقدم ليس للكلمة كما أن الجسد لم يكن هو الحكمة، ولكن الجسد صار جسد الحكمة .. الناسوت هو الذي تقدم في الحكمة وهو الذي ارتفع فوق الطبيعة البشرية وتألَّه" (٣: ٥٣)، ولكن ذلك التقدم لم يكن من أجل الكلمة بل هو "للطبيعة البشرية" (٣: ٥٣).

التألُّه هو تحرير الجسد من الموت (٣: ٥٦)، بل الخوفُ من الموت قد أُبيد وأعطى الرب لنا شجاعةً أمام الموت (٣: ٥٧). لقد نزع المخلص "خوفنا وأباد الموت .. وأعطى البشر أن لا يعودوا يخافون الموت" (٣: ٥٧).

المسيح قوة الآب:

نعود مرة ثانية إلى هذه النقطة الهامة جداً؛ لأن أعمال الكلمة في الجسد هي استعلان الابن، وأن القوة التي سوف تعطي لنا هي قوة الابن، ولكن ما هي أو بالحري

من هو؟

ويجيب أثناسيوس: "المسيح هو قوة الله، والكلمة الله" (٣: ٤٨). وحتى عن موت الرب المحيي، ذلك الموت الذي قال الرب إن له السلطان أن يضع نفسه وأن يأخذ حياته التي قدمها (يوحنا ١٠: ١٨)، يعلِّق المعلِّم السكندري ويقول إن هذا ليس "خاصاً بطبيعة البشر، بل بقوة الكلمة لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الذاتي (حسب حرية الإرادة)، بل حسب (تسلط الطبيعة)، بل باضطرار الطبيعة رغم إرادته، أما الرب، فلأنه هو ذاته غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان كإله أن يفصل نفسه عن جسده وأن يعيد نفسه حينما يريد (مزمور ١٦: ١٠ س ١٥: ١٠) (٣: ٥٧). لقد أباد الموت وجعل جسده غير متألم وغير مائت (٣: ٥٨). الرب هو "قوة الآب المؤلِّهة والمنيرة التي بها يتم تألُّه وإحياء الجميع، فلا يكون غريباً عن جوهر الآب، بل من ذات جوهره" (المجامع ٥١).

وبعد، هل إرادة وقوة الآب المؤلِّه هي قوة أو إرادة مخلوقة؟ أم أن الأنبا بيشوي، وقد خضع لحمى رفض تأله الإنسان، فسقط في الأريوسية دون أن يدري.

يتبع

د. جورج حبيب بباوي